

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 15 (2011) : 53 - 69
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

التراث المخطوط بالصحراء الكبرى: حفظه مراكزه وإتاحته للباحثين

براركة شوقي
قسم العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة

مقدمة:

إن التفاعل الحضاري الذي شهدته منطقة الصحراء الجزائرية بانتشار الزوايا والخزانات الشعبية نمى حركة التعليم, وشجع الاهتمام بالعلم, والتفقه في الدين, ما أدى إلى كثرة المريدين لهذه الزوايا, من الطلاب والعلماء, وتنامي حركة الوراقة والتأليف والاستنساخ حتى غدت المنطقة حقلا للمخطوطات, هذه الأخيرة التي تحتاج لحملة علمية واسعة؛

ولقد تنوعت المراكز التي جمعت فيها المخطوطات اليوم بين مراكز رسمية وخاصة تمثلت أساسا في الخزانات الشعبية ومكتبات الزوايا والعزابات والمدارس القرآنية,و من خلال الفهم الحقيقي للمكانة التي تمثلها المخطوطات كمصدر علمي وتاريخي عريق, نستطيع أن نحكم على الطبيعة التي تؤديها الدراسات العلمية الحديثة وبالخصوص منها التي تتميز بطابعها التاريخي, وإذ أننا نعلم جميعا أن بقاء المخطوط مدة طويلة دون حفظ وعناية, أمر بعجل باندثارها ويسلمها لعاديات الزمن، فتأتي الأرضة والرطوبة والحرارة والحشرات عليها فتستحيل بعد مدة إلى هشيم, ولكن ما لا يعلمه جميعنا هو أن هناك عوامل أخرى تساهم في التأثير سلبا على الحالة المادية للمخطوطات, منها كثرة الاستعمال وسوء الحفظ, وهذا ما أدى بالدول المتطورة إلى توفير ظروف جد خاصة تليق بالمخطوطات وحفظها.

ونحن من خلال هذه الورقة سنحاول تسليط الضوء على المخطوطات كمعلم حضاري عن الصحراء وتراثها وكدليل حقيقي على المكانة التي كان عليها إنسان الصحراء, من خلال بيانها والمراد منها مع الحديث عن أهم مراكزها بالصحراء الجزائرية, محاولين الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هي القيمة العلمية للمخطوطات؟
- ما هو واقع المخطوطات بالجنوب الجزائري؟

– وكيف يتم فهرستها وصيانتها؟ وكذا, ما هي ضوابط التحقيق العلمي للمخطوطات؟

وأثناء سعينا لمحاولة الإحاطة بالإجابة عن هذا التساؤلات قمنا بوضع عدة عناصر بداية بمحاولة ضبط لبعض المصطلحات والمفاهيم كالتراث المخطوط والمراد منه من جهة اللغة والاصطلاح وكذا أهم المراكز التي حوت المخطوطات في مكتباتها وخزائنها.

أهداف الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في هذه الصورة من أجل الخروج بنتائج واقعية انطلاقا من الأهداف الآتية:

– معرفة المخطوطات وقيمتها العلمية الكبيرة كإرث تاريخي وحضاري للصحراء الجزائرية.

– التعريف بأهم مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري.

– الوقوف على واقع المخطوطات والعوامل التي ساهمت في التأثير عليها.

– تحديد المعالم الأساسية للفهرسة العلمية للمخطوطات وضوابط تحقيقها ونشرها.

1. مفهوم التراث المخطوط:

لقد أجمعت كتب اللغة ومعاجمها على أن كلمة (التراث) مأخوذة من الفعل (ورث) والتاء فيه مبدلة من الواو وقد جاء في لسان العرب لابن منظور الإفريقي عن ابن الأعرابي أن الكلمة مشتقة من الفعل (ورث) وهي تفيد المعنى الذي تفيده كلمات أخرى، وهي (الورث والوريث والوراث والإرث والأرث ...(**1**) كما أجمع الدارسون على أن المواد بالتراث كل ما خلفه الرجل لورثته، وقد شاعت كلمة (التراث) دون غيرها لكثرة الاستعمال .

أما التراث كقضية فكرية فقد نظر إليها المفكرون من زوايا عدة وذلك كثرت تعريفاتها، ودار نقاش كبير بين الباحثين بشأنه، إذ يفسر عند الكثيرين وفق المرجعية الفكرية والأيديولوجية، ولما كان هذا الأمر لا يعنينا فيما نحن بصدده، فإني أستأنس برأي قدمه الدكتور أكرم ضياء العمري،و ذلك لشمولية هذا الرأي يقول:"هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وأداء وفنون وصناعات وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية بل إنه يشتمل على الوحي الإلهي (القراءات والسنة) الذي ورثنا عن أسلافنا..."(**2**) وهذا هو المفهوم العام للتراث للفكر الإسلامي، لكن ماذا يعني هذا المصطلح في حقل المخطوطات ؟و ما دور الخطير الذي يؤديه التراث المخطوط في نقل العلم والمعرفة ؟ وكيف كان حاله بالأمس...(**3**)، إن التراث في مجال المخطوطات يراد به: (كل يصل إلينا مكتوبا في أي علم من العلوم،أو فن من الفنون، أو هو كل ما خلقه العلماء في فروع المعرفة المختلفة ولهذا فالتراث ليس محددا بتاريخ معني إذ قد يموت أحد العلماء، في عصرنا فيصبح ما خلقه تراثا بالنسبة إلينا...) (**4**) إذ التراث المخطوط يعد دعامة من دعائم

التراث البشري عامة،فهو يؤدي دورا خطيرا في نقل العلم والمعرفة والحضارة،و يعرفنا مدى تمسك الأمة بأصالتها وهو عامل ثورة وبناء إذا ما أحسن استعماله ودراسته في نظرة صائبة ونهج موضوعي ملتزم (5).

2. الزوايا والمدارس العلمية بالصحراء ودورها في ظهور المخطوطات:

لقد شهدت القرون الماضية ازدهار مدن العلم وحواضره بالصحراء وإذا كانت المصادر التاريخية التي أشارت إلى بدء انتشار الإسلام في المنطقة منذ القرن العاشر أو التاسع لم تتحدث بالتفصيل عن حالة التعليم (الديني) فإنه مقر افتراض وجود حد أدنى من هذا التعليم لضمان بقاء الدين وانتشاره. وقد أشارت مصادر تاريخية إلى وجود معلمين إلى جانب الملوك المحليين وقد أدى هذا التطور الفكري إلى التشجيع على نماء هذه الحواضر واستقطابها للعلماء وطلاب العلم من خلال الحرص على نشر العلم والتفقه في الدين، ولذلك لم تكن الصحراء في معزل عن الحركة العلمية والثقافية التي شهدتها البلدان العربية والإسلامية مشرقا ومغربا فكثرت الرحلات العلمية، غدوا ورواحا الأمر الذي شجع على انتقال الكتاب المخطوط وكثرة الاستنساخ كما كان للحجاج دور كبير في نقل المخطوطات واستنساخها عبر السنين الطويلة، فصار لا يخلو بيت من وجود بعض المخطوطات في العلوم الشرعية واللغوية(6). أما المراكز العلمية والثقافية كالزوايا والقصور والخزانات والمكتبات والكتاتيب والأضرحة والأقبية والرباطات والعزابات وغيرها فقد كانت ملأى بالكنوز من التراث الفكري المخطوط في شتى حقول المعرفة من فقه وأصول وحديث وتفسير وبلاغة ونحو وصرف وتاريخ وسير وطب وزراعة وتراجم وفلك وكيمياء وغير ذلك مما تفرع عن هذه الأصول وتعد منطقة الصحراء الكبرى من أغنى المناطق بالمخطوطات،إذ نجد في مراكزها العلمية شتى ضروب المعرفة الإنسانية(7).

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: (المنطقة غنية بتراثها العلمي والديني وغنية بعلمائها ومؤلفيها وبزواياها ونظمها وكذلك لا يزال ضعيفا ولم يهتم بها إلا الأجانب...) (8).

وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن هذه المراكز العلمية ساهمت في انتشار المخطوطات لديها من خلال:

- **العلاقات الاقتصادية مع مختلف المناطق المجاورة.**
- **رحلات الحج والعمرة للمسلمين فيها.**
- **رحلات طلبة العلم والوفود الخارجية للمتعلمين.**
- **عمليات التأليف الكبيرة لعلماء المنطقة.**
- **تطور ظاهرة النسخ خاصة مع اعتبارها مهنة تسمى بالوراقة والقائم عليها كان يسمى وراقا (9).**

– تطور صناعة الورق في الحضارة الإسلامية وأثارها على المنطقة (10).

3. أهم مراكز المخطوطات بالصحراء الجزائرية:

نظرا للأهمية التي تتميز بها منطقة الصحراء في الجزائر من حيث احتفاظها بكنوز من تراث الأمة يأتي الحديث عن المراكز التي جمعت فيها المخطوطات بين: مراكز رسمية وخاصة

3-1 المراكز الرسمية:

وأعني بها المكتبات والأرشيفات التي تشرف عليها هيئات رسمية وعمومية كالمكتبة العامة التي لها فروع ولائية عبر الوطن وكذا الوطنية والتي تقوم بإنتاج قوائم أرسمية وفهارس لمخطوطاتها وإن كانت لم تستوعب(11) ومثالها :

– المكتبات الجامعية التابعة كالجامعات والمراكز الجامعية كورقلة والوادي وأدرار وغرداية وغيرها.

– مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار.

– مكتبات نظارات الشؤون الدينية في الولايات.

– مكتبات المساجد الكبرى سيما مساجد الجنوب وكذا بعض المدن الكبرى في الشمال الجزائري.

– مكتبات بعض المراكز الثقافية ودور الثقافة في بعض الولايات عبر الوطن.

3-2 المراكز الخاصة (الأهلية –الشعبية):

3-3 إن المخطوطات في المراكز الخاصة قياسا على ما في المراكز العمومية كثيرة وهي تنتشر في التراب الوطني كله،خاصة في الولايات الجنوب كبسكرة –غرداية– أدرار– وغيرها وتحديد عدد المراكز وأماكنه صعب لعوامل عدة أبرزها عدم تعريف أصحابها بها وأهم المراكز التي كتب عنها أو عرفناها بالزيارات الميدانية من خلال الولايات المتواجدة بها الآتي:

A. منطقة ولاية أدرار: وأهم ما يوجد بها

– الخزانات الشعبية في منطقة أولف بأدرار وأغلب مخطوطات هذه الخزانات أثرت فيها الأمطار الطوفانية التي نزلت بالمنطقة سنة 1965،كخزانة عائلة عقباوي بزاوية بنعامة،و خزانة عائلة بالشيخ بتقراف وخزانة الشيخ الباي بالمدرسة القرآنية.

– خزانات منطقة تدكلت ومن مكتباته: مكتبة أقبلي الزاوية ومكتبة ساحل القديم والحاج مبارك بن صالح ومحمد باي بلعالم وخزانة زاوية بوده ومحمد الصديقي التي بها 70 مجلدة مخطوطة.

– خزانات منطقة تنجرين: وفيها 12 مكتبة موزعة على القصور التي بنيت بالمنطقة أشهرها مكتبة كوسام وبني عامر وزاوية سيدي حيدة،و خزانة أولاد عيسى وتنركوك والمطارفة التي أغلب مخطوطاتها في الطب والفلك.

B. منطقة ولاية بسكرة: حيث أن أشهر خزاناتها

– خزانة الزاوية العثمانية (علي بن عمر) في طولقة حيث تعد من أغن الخزانات بالمنطقة وقد كان شيوخها حريصين على الحفاظ عليها وتمكين الباحثين منها وتحتفظ بمخطوطاتها كتبت بالفارسية والتركية.

– خزانة محمد زقادبا بأولاد جلال.

– خزانة الزاوية المختارية بأولاد جلال.

– خزانة مسجد سيدي مبارك بخنقة سيدي ناجي وإن كانت لا تحوي حاليا إلا 3 مخطوطات بعدما نهب العديد منها (12).

– مكتبة الأستاذ أحمد بن السايح وهو عامل بالمركز الثقافي والمخطوطات التي لديه جمعها بصفته الشخصية وهو من محبي التراث والقائمين على جمعه.

– خزانة زاوية سيدي خالد.

C. منطقة ولاية وادي سوف: وأشهر خزائنها:

– خزانة زاوية سيدي سلام .

– مكتبة الشيخ عبد المجيد بن حبة بمنطقة المغير.

D. منطقة ولاية تندوف: وأشهر ما فيها:

– خزانة زاوية محمد المختار بن تفغ بن الأعمش الجكاني والتي بها حوالي 500 مخطوطة وأقدم واحدة يعود نسخها لـ 704 هجرية وإن كان هناك من يذكر أن من هذه المخطوطات ما يعود إلى 03 قرون قبل الميلاد لكن يبقى مجرد كلام وهو محل نظر.

E. منطقة ولاية غرداية: تزخر المنطقة عامة بموروثات ثقافية واكبت عمارة المنطقة منذ ما يزيد على 10 قرون ولذلك نجد المخطوطات فيها كثيرة ومتنوعة تتوزع على مكتبات تربو على المائة مكتبة حتى أن المستشرق الألماني جوزيف فون هاس في دراسته "أبحاث في بعض المخطوطات الإباضية" سنة 1974 أحصى (100) مكتبة منها (87) مكتبة بوادي ميزاب وقد تعددت وجهات النظر في توزيع هذه الخزانات فجمعية التراث توزعها على النحو التالي:

– مكتبات عامة: كمكتبة القطب ببني يزقن.

– مكتبات تابعة للعشائر: كمكتبة آل يدر.

– مكتبات تابعة للمساجد: كايروان.

– مكتبات المدارس الحرة: كمكتبة الإصلاح والحياة بالقرارة وغرداية.

– مكتبات خاصة: كمكتبة الحاج سعيد وألمطهري بمليكة.

و أشهر ما تضمنه غرداية من مكتبات ضخمة هي :

– مكتبة آل يدر التي تحتفظ بـ (**594**) مخطوطة وفيها (**294**) مجموع.

– مكتبة عمي سعيد التي تضم (**55**) مجموعة و(**91**) عنوان إلا أن وضعيتها متردية من جراء الرطوبة والأرضة.

– مكتبة البكري بالعطف حيث تضم (**2395**) مخطوطة وأندر ما تحتويه (جامع الأزكوي) وكتاب (مسائل أبي عبيدة) وغيرها.

F. منطقة ولاية بشار: وما يوجد بها من مكتبات وخزائن هي قليلة ومنها مالا يعرف وأشهر خزانة بها هي :

– خزانة الزاوية القندسية للقنادسة والتي كانت في **1950** تحتفظ بأكثر من **3050** مخطوطة لكن الاستعمار أحرق منها أحرقه وشرده بعضها لبلاده (**14**).

وطبعا هذا يعود للأسباب التي أثرت عليها وأبرزها الاستعمار وكذا عدم إبلاغ أصحابها بها وغيرها من الأسباب التي يأتي ذكرها لاحقا.

4. واقع المخطوطات وقيمتها العلمية:

إن الكنوز المتبقية من المخطوطات المشار إليها في المنطقة غنية بمضامينها الفكرية والفنية والعلمية وقيمتها تمكن في أنها خير شاهد على عظمة أسلافها في أخد العلم وتمثله بأوجهه المتنوعة،و لأنها تمثل عصارة فكر الإنسان العربي والمسلم في المشرق والمغرب وفي أنحاء عدة من العالم وبالجملة فهي:

– تعكس جانب تاريخيا من حياة أمتنا العربية والإسلامية،إذ تمكننا من الوقوع على الكثير من الأحداث والوقائع والحقائق التي طواها النسيان، وجهلت حيثياتها ومعالمها.

– تعرفنا على أعلام المنطقة وجهودهم الفكرية والإصلاحية عبر العصور وتضع بين أيدينا الحقائق الواضحة

– تقم لنا صورا متنوعة لمجتمعاتنا في النواحي الدينية والخلقية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها من النواحي الكثيرة.

– تسجل لعلاقات التي كانت تربط الشمال بالجنوب وحركة انتقال الإسلام واللغة العربية إلى إفريقية السوداء.

– ولا تخفي القيمة الحضارية والفكرية التي تحملها هذه المخطوطات لأنها تحمل علم الأولين وتعرفنا إياه ومدى التطور الحاصل في مجالاته المتنوعة عبر السنين (15).

أما حالتها فهي لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في كل أنحاء الجزائر إذ إن العناية بها نادرة ولم يعن بها قبل الجهات الرسمية إلا ما تحتفظ به المكتبة الوطنية الجزائرية وماعدا ذلك فهي محاولات على الطريق يقوم بها عدد من الباحثين والمهتمين بالتراث ظهرت في العشرية الأخيرة فقط ولا يمكن مجال مقارنتها بالأعمال المنجزة في الأقطار العربية والإسلامية في هذا الجانب لأن إشاعة الثقافة التراثية بين المتعلمين تكاد تكون معدومة فكيف الحال بالعامة من ملاك هذه المخطوطات .

– هذا إضافة لتعرضها للنهب والسلب من فئات عدة.

5. العوامل المؤثرة على حالة المخطوطات وبقائها:

1-5 عامل الاستعمار:

لقد عمل المستعمر الفرنسي على جعل اللغة الفرنسية محل اللغة العربية وعلى طمس الشخصية العربية الإسلامية طيلة فترة الاحتلال، وما يزال أثره يسري في المجتمع الجزائري إلى يوم الناس هذا، فالمستعمر حرق آلاف المخطوطات والوثائق كما حصل بخزانة الزاوية القندسية ببشار التي هي غيض من فيض كما سرب آلاف أخرى إلى بلاده للانتفاع بها خدمة لأبنائه وقد فعل ذلك لإلحاق هذه البلاد بفرنسا لغة ودينا وسلوكا وفكرا لقطع الصلة بين الفرد الجزائري وتراثه الخالد.

ولقد قام عبد الجبار عبد الرحمان في مقاله "تسريب التراث العربي المخطوط إلى المكتبات الأوربية والأمريكية" بالحديث عن الأعداد الهائلة للمخطوطات لدى كثير من الدول هي روسيا–بريطانيا – يوغوسلافيا السابقة – فرنسا التي تحوي مكتبتها الوطنية فقط 7500 مخطوط عربي – وإيطالي وألمانيا التي تتمتع بنتائج النهب الكبير الذي قام به المستشرقون (16)حتى تحاشى بعضهم إعطاء تقديرات لأعداد المخطوطات العربية في العالم كما فعل بروكلمان وسركين وكوركيس عواد وهلموت رويتر وغيرهم (17) وأبرز عمليات الإتلاف والاستيلاء لفرنسا على المخطوطات بالجزائر أو نقلها إلى مكتباتها:

– نهب الفرنسيين لمكتبة الأمير عبد القادر أثناء حروبهم معهم(18).

– مصادرة الفرنسيين لمكتبة لشيخ الحداد بعد القضاء على ثورته ونقلها إلى المكتبة

الوطنية التابعة لهم (19).

– إحراق الجيش الفرنسي والمستوطنون الفرنسيون في الجزائر مكتبة جامعة الجزائر على إثر إعلان استقلال الجزائر ويقال إن المخطوطات نقلت كلها إلى فرنسا قبل ذلك وأن الحريق كان تمويها لعملية نقلها (20).

2-5 عامل الطبيعة:

نعلم جميعا أن بقاء المخطوط مدة طويلة دون حفظ وعناية أمر بعجل باندثاره ويسلمه لعاديات الزمن، فتأتي الأرضة والرطوبة والحشرات والجراثيم عليه فيستحيل بعدة مدة إلى هشيم، فأغلب المخطوطات التي سلمت من أيدي المستعمر كانت محفوظة تحت الأتربة والكثير منها ما زال مدفونا ولم يعرف سبيله لأن الذين دفنوه ماتوا في عهد الاحتلال،و لعل الكوارث الطبيعية كالحرائق والفيضانات هي أكثر من أن تحصى فقد ملأت صفحات كثيرة من كتاب فيليب طرازي (خزائن الكتب العربية في الخافقين) في أجزائه الثلاثة.

2-5 العامل البشري:

يعد الإنسان شريكا في بقاء المخطوطات في الجزائر على الصورة السلبية المذكورة، لأن مالكيها يعتقدون أنها ملك لهم كأي عقار موروث لا يحق لأحد أن يقترب منها فهم يجهلون قيمتها الفكرية والحضارية ولذلك فالكثير ممن يحتفظون بالمخطوطات يصدون من يريد الإطلا ع عليها ويفضلون الإبقاء عليها كما هي كأنهم يتبركون بها لاعتقادهم أنها تحمل ريح الأولين ولعل أسوأ ما يتعرض له تراثنا المخطوط في السنين الأخيرة ما يقوم به بعض الغفلة ممن يهربون المخطوطات ويبيعونها بأبخس الأثمان ليشتروا بها ثمنا قليلا أثناء ذهابهم للحج والعمرة، كما يؤثر العامل البشري من حيث الاستعمال فعملية اللمس وتقليب الصفحات المتكرر يساهم في تردي حال أوراق المخطوطات وهنا تبرز قيمة التكنولوجيات الحديثة وعمليات الرقمنة العصرية (21).

3-5 الجهات الرسمية:

إن انصراف الجهات الرسمية في الدولة عن الاهتمام بهذه الكنوز وكأن الأمر لا يعنيهم عل الرغم من وقوف بعض المسئولين على القطاعات الثقافية والتربوية من حين لآخر على مخطوطات في المعارض التي يتفقدونها وكأن المخطوطات في نظرهم تحفة أثرية تحمل بها المتاحف والمكتبات، فلا يختلف حال هؤلاء عن حال المالكين.

وإن هذه العوامل وغيرها ساعدت على تقزيم تراثنا وهو أمر خطير ينبغي أن يتداركه جميع المسؤولين عن هذا التراث الضخم لأن مراكزه على اختلاف أنواعها، مليئة بالكنوز النادرة التي تمثل فنون العلم والمعرفة الإنسانية المختلفة (22).

6 طرق فهرسة وترميم المخطوطات:

1-6 الفهرسة:

هناك فرق ملموس بين ما هو مطبوع وما هو مخطوط من حيث إعطاء الوصف الدقيق لكل منهما التعريف الباحث بما يحتويه فكل مخطوطة لها قيمة ومميزات وخصائص تميزها عن غيرها من المخطوطات أو تميز نسخة من أخرى في نوع الورق وحجمه وعدده ونوع الخط والحبر واسم الناسخ والمؤلف وتاريخ النسخ والتمليكات والسماعات والإجازات والوقفيات والتراجم وكمال أو نقص أوراقها وعيوبها وإلى غير ذلك من ملامح وخصائص .

وقد أورد المستوخي ملامح فهرسة المخطوط كما يلي: (23)

1– صفحة العنوان . 2– المقدمة أو الاستهلال. 3– الخاتمة. 4– علامات الترقيم. 5–ترقيم الأوراق. 6– الفصول والعناوين الفرعية. 7– الهوامش. 8– مسطرة المخطوطة . 9– الاختصارات. 10– التصويبات والتصحيحات. 11– التمليكات والإجازات والسماعات. 12– أحجام المخطوط. 13–الصور والرسوم. 14– الزخارف والتذهيب. 15– تجليد المخطوطات. 16– العلامات المائية.

وقد بين الأستاذ محمد أيتيم (24) أن المخطوط العربي كان في أول عهد خلوا من صفحة العنوان وقد كان المؤلفون يذكرون العنوان وأسماءهم في متن فاتحة المخطوط.

ولابد لنا قبل الانتقال إلى ذكر ضوابط فهرسة المخطوطات وتطبيقها العلمية من التعرض لأهم الصعوبات التي تواجه المفهرسة والتي يمكن حصرها في:

– مداخل المؤلفين القدامى: ونفي بها هل يكون إدخال المؤلف تحت اسمه الحقيق أو اسم شهرته في بطاقة الفهرسة لذا لابد من عمل قوائم موحدة بأسماء المؤلفين في جميع المكتبات كي لا يتم إدخال المؤلف باسم شهرته في مكتبة ونسبته في أخرى وباسمه الحقيقي في مكتبة ما وهكذا وسيجد المفهرس أسماء تتشابه تشابها كاملا أو في الشهرة فميز بينها بذكر تاريخ الوفاة.

1-1-6 العنوان:

وحيث أنه لا بد من مراعاة هذه القضية ذلك أن المخطوط العربي كثيرا ما يشتهر بعنوان غير عنوانه الأصلي فمثلا (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط الآثار) مشهور بعنوان خطط المقريزي وهذه المشكلة تحتاج لخبرة ودراية بالمخطوطات ومحتوياتها وتحتاج بعد ذلك إلى تحديد العنوان الأصلي ويحال إليه من العناوين الأخرى غير المستعملة من خلال الإحالات في الفهارس (أنظر) أو (أنظر أيضا) حسب الضرورة ولابد فيه من الرجوع إلى معاجم المؤلفين

كالأعلام للزركلي وكشف الشئون لحاجي خليفة وغيرها.

– الكتب أو التعليقات أو الرسائل المرافقة للمخطوط والمدونة على الحواشي فلابد للمفهرس من الانتباه وعدم إغفال ذلك في إعداده لبطاقات الفهرسة البيبليوغرافية للمخطوط.

– إذا كانت المخطوطات نسخة طبق الأصل أو مصورة أو نسخة كربونية فتعامل كالأصل.

– لابد من اعتماد معيار موحد يتوافق مع نظام الفهرسة المعتمد عبر البلد ككل والأمل لو يوجد غبر العالم حيث أن هناك معايير الفهرسة التي منها قواعد **AFNOR** الفرنسية للوصف المقنن وهو الذي تعمل به الجزائر حاليا أما المكتبات العالمية الكبرى ومكتبات دول المشرق العربي فتعمل بقواعد الفهرسة الأنجلو أمريكية **AACR2** (**24**).

– لابد من التفريق أيضا بين الفهارس التي تعد بطريقة وصفية تهتم بالوصف البيبليوغرافي واختيار وبناء المداخل وبتعريف العمل (المادة المخطوطة) بصورة تمكن من تمييزها عن جميع الأعمال الأخرى أما الموضوعية فتقوم بوصف الكيان موضوعيا بحيث يمكن تجميع المخطوطات ذات الموضوعات المتشابهة ضمن قوائم موحدة (**25**). وكل هذا من أجل عدم وقوع أخطاء تستدعي إعادة العمل أو منع الباحث من الوصول للمخطوطات المراد ومثال ذلك ما قام به محمد عبد العزيز الدباغ في مقاله "تنبيها تحول الفهرس الذي وضعه محمد العابد الفاسي لمخطوطات خزانة القرويين"(**26**).

6-2 الصيانة والترميم:

من الطبيعي جدا أن تنشأ معالجة ترميم المخطوطات في وقت لم تكن فيه الطباعة معروفة بعد ولم يكن استبدال نسخة جديدة بنسخة بالية أمرا هينا كما هي الحال في عصر الطباعة وإيمانا بأهمية هذا الجانب في حفظ تراثنا وصيانته فإنه لابد من بناء عمل عربي خاص بصيانة وترميم المخطوطات والتراث المكتوب للأمة ولابد في هذه العملية من الاعتماد على أنظمة كفيلة مثل:

6-2-1 نظام الترميم بالألياف:

لقد ظهر هذا النظام بعد الحرب العالمية 2 وهو النظام الأمثل لترميم الأوراق التالفة لدقته وسرعته وكذا نجاحه وقد تطور هذا النظام خلال الأعوام السابقة ويعتمد عمل هذا النظام على الألياف السيللوزية النقية ومصدرها حسب دراسات عديدة وتجارب هي: سعف النخيل ونبات القنب وسعف النخيل بالنسبة لبلادنا سهل التوفير كمادة خام للنظام والمواصفات العالمية من الناحية الفيزيائية والكيميائية التي تصلح للعمل في هذا المجال بـ:

– نقاء الألياف من كل الشوائب.

– العمر التقديري الجيد.

– الوسط الكيميائي المعتدل.

6-2-2 نظام حساب الكميات:

ويعتمد هذا النظام على الحساب من خلال:

– الحساب الخاص للترميم: ومن الجدير بالذكر أن هذه الحسابات لا تعطي النتيجة المطلوبة دائما لذلك فإن الخبرة هي الأساس في هذا العمل.

– تثبيت الأحبار القديمة: بما أن الجهاز يعتمد في عمله على الماء ففائدته محدودة لأن معظم المخطوطات كتبت بأحبار قابلة للانحلال بالماء وقد تم التوصل إلى المادة العضوية التي جرى استخدامها وتجريبها وقد أعطت النتيجة المطلوبة تماما، وقد جربت هذه الأنظمة بمركز جمعة الماجد وطورها وتم نقلها لعدة دول كجيبوتي وليبيا ومالي والسودان واليمن وتونس وغيرها.(**27**)

7 التحقيق العلمي للمخطوطات:

لما كان التحقيق عملية مركبة تقتضي إخراج نص مضبوطا بحيث يكون هذا النص الصورة التي تركها عليها صاحبه ومنتجه أو ناسخه ويلاحظ قبل كل شيء أن محقق النص لا يستطيع أن يستغني عن طائفة من العلوم المساعدة فهو مضطر إلى إتقان فقه اللغة وهو مضطر إلى إتقان علوم النحو والصرف والبيان والتاريخ ثم فوق هذا لابد من إتقان مناهج البحث الأدبي ليعرف كيف يستكشف النص فإذا استكشفه فكيف يقرؤه فإذا قرأه فكيف يحققه نصوص التراث المخطوط في:

– جمع الأصول وضبط النص تأديته والمقارنة بين النسخ وتقديم الأفضل والكاملة على الناقصة والنسخة المقابلة أحسن من التي لم تقابل ونسخة المؤلف بخط يده خير من غيرها.

– مقابلة النسخ بعد اعتماد أحدها أصلا وإثبات الفروق في الهامش.

– تحديد مصادر المؤلف من أجل التحقق من النقول وتخريجها.

– إعداد الفهارس التحليلية للإعلام والبلدان وأسماء الكتب الواردة بالمثنى والقبائل والفرق والمصطلحات والموضوعات وغيرها.

– ويجب أن يؤخذ في الاعتبار عند نشر المخطوطات القيمة العلمية لها وتنوع موضوعاتها وتقديم الأصول على الفروع وعلى المختصرات وما لم ينشر على إعادة ما نشر إلا في الظروف خاصة (**29**).

ويشير الدكتور محمد عبود الزبيري إلى أن مراحل تحقيق المخطوطات هي تتمثل في:

1– البحث عن المخطوطات ذات المواصفات المطلوبة.

2- مرحلة الاختيار والمقابلة.

3- مرحلة التحقيق من الكتاب ونسبته لمؤلفه وناسخه.

4- مرحلة التحقيق وإعداد النص.

5- مرحلة التقرير للشكل النهائي الذي يخرج عليه الكتاب المحقق وترتيبه (30).

8 دور تكنولوجيا المعلومات في حفظ وإتاحة المخطوطات:

بظهور التكنولوجيات الحديثة ومع إدخال الحاسب في كثير من العمليات العلمية سهل استخدامه في أداء الكثير من الوظائف البحثية خاصة مع اختراع الشبكة العنكبوتية الانترنيت التي طورت عمليات البحث العلمي وساعدت في أداء الكثير من العمليات بكل سهولة مما أدى بالمكتبات الأوربية بالتوجه قبل إنشاء ما يعرف بالمكتبات الرقمية فمن خلال هذه الأخيرة تمت عمليات الإعداد الرقمي للوثائق وظهرت على ارض الواقع المكتبات الهجينة وكذا ما يعرف منها بالمكتبات الإلكترونية أو السيبرانية التي ميزت مجموعاتها أنها ذات شكل رقمي وطبعا المخطوطات غير غائبة عن هذا الميدان ذلك أنه تمت على أرض الواقع رقمنة العديد من المحتويات المخطوطة لدى الكثير من المكتبات الأوربية كمكتبة ليون في فرنسا والكنغرس الأمريكية وفولسبورغ الروسية وأيضا المكتبة الوطنية البريطانية وغيرها وبالنظر إلى الكم الهائل من المخطوطات التي تحتويها مدن الصحراء يتضح لنا الأهمية الكبيرة التي ستساهم فيها عمليات الرقمنة في الحفاظ على هذا الموروث العريق وهذا من خلال مزايا أبرزها:

- تقليل عمليات الاستعمال المباشر للمخطوطات ما يعني عدم تأثرها من هذا الجانب.

- التعريف بالمخطوطات التي لم تعرف بعد من خلال إتاحتها عبر قواعد وبنوك المعلومات الرقمية.

- زيادة الثقة لدى أصحاب المخطوطات التي لم يعرفوا بها في تقديمها للمكتبات ولو على الأقل رقمنتها ثم إرجاعها لهم.

- تسهيل المهمة على المحققين من خلال تمكنهم من الإحاطة بمؤلفات شخص ما وبكل بساطة نظرا لوجود شبكة الانترنيت والمواقع التي تهتم بعرض المخطوطات في شكلها الرقمي.

- إمكانية التمهيد في إيجاد مكتبة قومية للتراث المخطوطات ذات طبيعة رقمية.

- بإتاحة المخطوطات بشكل رقمي ستقلل هذه العملية من ظاهرة بيع المخطوطات ذلك أن المشتري سيحرص دوما على اقتناء المخطوطات التي لا توجد لدى أي شخص وبأي طبيعة ولو كانت رقمية ما يعني ندرة السرقة والترهيب للمخطوطات للمكتبات الأجنبية ونحوها.

- **النتائج المتوصل لها:**

لعل أبرز ما نتوصل له من هذه الدراسة الآتي:

1- أن العرب والمسلمين قد تركوا تراثا فكريا وحضاريا للأمة العربية لا نجد له مثيلا عند الأمم الأخرى خصوصا بالصحراء.

2- أن المخطوطات من أهم المصادر التاريخية والعلمية التي يحتاجها الباحثون والدارسون والمؤرخون ونحوهم.

3- التراث المخطوط يمثل إنتاجا فكريا حضاريا للأمة العربية في المعرفة والفلسفة والأدب والفن والعلم والعادات والتقاليد ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية المختلفة وكلمة التراث تعني عند المشتغلين به فيمل تعني المخطوطات العربية.

4- أن الصحراء خصوصا في القرن 10 الهجري تميز عن غيره من القرون بضخامة المؤلفات والموسوعات العلمية مثل: خطط المقريزي وغيرها.

5- أن المخطوطات المتواجدة بالخزائن الشعبية أضخم من أن تحصى وهي أكبر بكثير مما هو موجود لدى الهيئات الرسمية من مكتبات ومراكز ثقافية وغيرها.

6- أن العوامل المتمثلة في الطبيعة والإنسان والهيئات الرسمية أثرت سلبا على حالة المخطوطات سيما بالمدن الصحراوية نتيجة لتعرض خلال تاريخه الطويل الذي امتد أكثر من أربعة عشر قرنا لمحة وكوارث وآفات شتى أتلفت ودمرت غالبيته والقليل الذي وصل إلينا منه قد تفرق وتشتت في أرجاء المعمورة لأسباب تاريخية وسياسية وآخرها تعرضه للسلب والسرقة وتسريب إلى خارج موطنه الأصلي بسبب الغزو الاستعماري وبيع بعض الجهلة ببيع مخطوطاتهم من أجل المال القليل.

7- أن تحقيق المخطوطات علم وأن على المحقق أن يتصف بصفات الباحث العلمي من نزاهة وموضوعية مع تمتعه بمهارات علمية في تفحص المخطوطات ودراستها بالدقة.

8- أن الفهرسة علم دقيق يحتاجه كل محقق للمخطوطات في بحثه وكذا في إعداده لكشافات النصوص المخطوطة التي تقوم بتحقيقها.

9- أن صيانة وترميم المخطوطات كتراث تاريخي أمر ضروري وله طرق متطورة أحسنها نظام الترميم بالألياف السيللوزية المتمثلة في ألياف سعف النخيل ونبات القنب.

10- أن دور التكنولوجيا الحديثة في رقمنة المخطوطات وإتاحتها إلكترونيا جد مهم ولابد من ٬اعتمادها لدى المؤسسات والهيئات حفاظا على المخطوطات وتيسيرا لإتاحتها للباحثين.

توصيات لآفاق مستقبلية: لعل من الجدير بنا أن نقوم على:

1- العمل على تثمين المخطوطات وقيمتها من خلال:

* السعي إلى تأسيس قسم دراسي في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية تكون مهمته إعداد محققين متميز بين محملين بالمعرفة العلمية والمهارة العلمية في شؤون تحقيق النصوص المخطوطة وقد سبق لجامعة بغداد القيام بهذه المبادرة ولم تستمر طويلا وأغلق القسم المعني واليوم هناك مبادرة بالجزائر بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة بإنشاء قسم التوثيق والمخطوطات التابع لقسم التاريخ منذ سنتين.

* إقامة مقاييس دراسية ضمن التخصصات العلمية كالتاريخ والآثار وعلم الاجتماع والمكتبات وغيرها من التخصصات التي لها علاقة بالمخطوطات والعناية بها.

* سعي الجامعات إلى توجيه خريجيها في مختلف المراحل الدراسية والدراسات العليا إلى القيام بتحقيق المخطوطات من خلال منح امتيازات لأمثال هذه البحوث وقيام الجامعات بتوفيرها لنسخ من المخطوطات الغير مدروسة ومحققة لتتم دراستها وتحقيقها.

* انشاء مخابر بحثية في ميدان المخطوطات ولقد قامت جامعة وهران بإنشاء مخبر للمخطوطات ويصدر مجلة هي الآن في عددها السابع, وأملنا أكثر من هذا

2- ضرورة العناية بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة علمية دقيقة ومفصلة حتى لا تنسب الكتب إلى غير مؤلفيها وحتى لا تختلط ببعضها وألا تقف عملية الفهرسة على جانب الإشاري بذكر العنوان والمؤلف وتاريخ النسخ.

3- ضرورة التنبيه في الفهرسة إلى وجود كتب ورسائل ملحقه بالمخطوط الأم ما يعني ضرورة الإشارة أو الإحالة عليها.

4- الإسراع في القيام بمسح شامل لجل المراكز العامة والخاصة وذلك عن طريق بعثها والتعريف بها والأفضل لو تشرف على هذه الأعمال الجامعات ومخابر البحث العلمي وتنفق عليه أموال تليق بالمهمة والقيمة الحقيقة للمخطوطات ولم لشرائها.

5- دعوة مالكي المخطوطات لتزويد الجامعات ومراكز البحث العلمي بما يحتفظون به من مخطوطات أو بصو منها لأجل حفظها من الضياع والانتفاع بها في الأبحاث العلمية.

6- السعي لإقامة مركز وطني للتراث كمكتبة قومية للمخطوطات الجزائرية وفتح فروع له عبر الوطن وإنشاء مشاريع ووحدات البحث على مستوى المعاهد والجامعات والمراكز البحث العلمي يعني فيها بجمع التراث والتعريف به وصيانته وحفظه وفهرسته وإتاحته للتحقيق والدراسة والنشر.

7- محاولة الاستفادة من الخدمات التكنولوجية الحديثة كاستعمال الحاسوب والأقراص

المليزرة وبنوك وقواعد المعلومات والارتباط بالشبكة العنكبوتية الدولية (الانترنيت) وغير ذلك مما له صلة بالتطور العلمي في مجال خدمة التراث لأن هذا الأمر يوفر كثيرا من الجهد ويختصر المسافات للباحثين في إنجاز الأبحاث العلمية التي تخدم تراثنا.

إننا نعتقد أن التعجيل بتطبيق هذه المقترحات عمليا في الميدان مم يساعد على إبراز الدور الحضاري والثقافي للمجتمع الجزائري والصحراوي خصوصا ولم لا في إطار الجهوية الإيجابية لما تتميز به الصحراء من تراثها الكبير ,بل هذا يمكننا من إنقاذ آلاف المخطوطات التي طواها النسيان وأتت عليها قرون طويلة وهي تئن تحت الأتربة وعاديات الزمن وإذا تحقق هذا المبتغي نكون قد أقمنا جسور الاتصال بين الحاضر والماضي وهيأنا للأجيال سبل الانتفاع بالإسهامات التي قدمها أسلافنا في حقول المعرفة والعلم.

الخاتمة:

وأخيرا فإن العودة إلى التراث وإحيائه في ضوء ذكرته لا يعني العودة إلى الكتب الصفراء والتشبث بها كلية بل العودة إلى تكون في ضوء بين أسس الأصالة والمعصرة.

ولعل من الضروري أن نقول في الخاتمة هذه الورقة بأن المخطوطات في الصحراء لا تزال إلى يومنا هذا تتعرض لأخطار النهب والسطو التجاري والثقافي من بعض أهل الغرب عن طريق التهريب بسبب ضعف الرقابة القانونية لحمايتها على الرغم من أن معظم الدول أصدرت تشريعات بقصد حماية آثارها ومخطوطاتها ومن ضمنها الجزائر إلا أن نشاط مهربي المخطوطات والآثار قد أجهضوا إلى حد ما القوانين والأنظمة بهذا الخصوص.

الهوامش والمراجع:

(1)– الإفريقي، ابن منظور: لسان العرب، ترتيب يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت 1988، 907/6 (مادة:ورث).

(2)– العمري أكرم ضياء: التراث والمعاصرين "كتاب الأمة"، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط 2. قطر، 1985، ص 27.

(3)– عوفي عبد الكريم: "التراث الجزائري المخطوط بين الأمس و اليوم"،(مجلة) آفاق الثقافة و التراث، ع (20)، ص(102– 103).

(4)– عبد التواب رمضان: مناهج تحقيق التراث بين القدماء و المعاصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة 1986، ص7.

(5)– الضامن حاتم صالح: إسهام العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث،مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق 1990، ص8.

(6)– عوفي عبد الكريم: "مراكز المخطوطات في إقليم تراث الجزائري"،(مجلة) آفاق الثقافة و التراث، ع(57)، ص (114– 115).

(7)– ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، تحقيق حجر على حي، منشورات دار مكتبة هلال بيروت 1984، ص63.

(8)–سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1998، 3 /182.

(9)– سعيد خير الله: "رواد السوق الوراقين "،(مجلة) آفاق الثقافة و التراث، ع 19،ص (21–22).

(10)– الشكيل علي جمعان: صناعة الورق في الحضارة الإسلامية (مجلة) آفاق الثقافة و التراث، ع"53، ص "811–118–119" .

(11)– الدجيلي عبد الكريم: "ملاحظات حول خزائن المخطوطة في تونس والجزائر والمغرب"، (مجلة الموارد، مج (3)، ع (4) ص 300.

(12)– تقرير: الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية والاجتماعية "الذكرى المئوية الرابعة نشأة خنقة سيدي ناجي، بسكرة 2002، ص80.

(13)– فهرس مخطوطات مكتبة إروان "دار التلاميذ" في ولاية غرداية / إعداد جمعية التراث، القرارة 1993–1995.ص.ل.

(14)– عوفي عبد الحكيم: "مراكز المخطوطات في الجزائر أماكنها ومحتوياتها"، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 39، الجزء 1 1995، ص 191.

(15)– عوفي عبد الحكيم: مراكز المخطوطات...، مرجع سبق ذكره ص 128.

(16)– عبد الرحمان، عبد الجبال: تسريب التراث العربي المخطوط إلى المكتبات الأولية و الأمريكية.

(17) - Vajda , Georges , répertoire des Catalogues et inventaires de manuscrits arabes paris 1949. p113.

(18)– الدجيلي عبد الكريم: "ملاحظات حول الخزائن المخطوطة..."، مرجع سبق ذكره ص299 .

(19)– نفس المرجع السابق 230ز

(20)– تقرير عن المخطوطات في الجزائر و أماكن تواجدها (مجلة) المورد مج 5، ع1 ،ص 42.

(21)– عوفي عبد الكريم: " التراث الجزائري المخطوط..."، مرجع سبق ذكره، ص 108–109.

(**22**)– **المنوخي عابد سليمان: أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1994 ص 174.**

(**23**)– **المنوخي عابد سليمان: فهرسة المخطوطات العربية، الزرقاء: مكتبة المنار 1989 .ص 27.**

(**24**)– **كليب فضل جميل: المخطوطات العربية و فهرستها علميا و عمليا ،عمان:دار جرير 2006 ص 100.**

(**25**)–**كحيلة عبد الرحمان نسيبة: الفهرسة الموضوعية، جدة: دار المجمع العربي 1979 ص 15 .**

(**26**)– **الدباغ محمد عبد العزيز: "تنبيهات حول الفهرس الذي وضعه محمد العابد الفاسي لمخطوطات خزانة القرويين" ،(مجلة) آفاق الثقافة و التراث، ع (28) 1995، ص 66–73.**

(**27**)– **داغستاني ،بسام عدنان: "النظام العربي الإسلامي في ترميم المخطوطات و الوثائق التاريخية باستخدام الألياف السيللوزية"، (مجلة) آفاق الثقافة والتراث، ع (20)،1990،ص 211–218،**

(**28**)– **دياب عبد المجيد:" تحقيق نصوص التراث"، (مجلة) الفيصل، ع 101 ص43,**

(**29**)– **سيد أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية 1997 ص 549.**

(**30**)– **الزبيري، محمد عبود حسن: "تحقيق المخطوطات والعمل البيبليوغرافي"، (مجلة) آفاق الثقافة والتراث، ع 16. ص 118–128.**

(**31**)– **الحلوجي، عبد الستار: "نحو علم مخطوطات اسلامي"، دار الآفاق: بيروت، 1999، ص 243.**